سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {٦} تفسير الشرك وبيان وجوده في هذه الأمة وإيضاح قبحه وأنه أعظم ذنب عصي الله به

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٣٠/صفر/١٤٤٥هجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {٦} **تفسير الشرك وبيان وجوده في هذه الأمة وإيضاح قبحه وأنه أعظم ذنب عصي الله به**

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٣٠/صفر/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

تفسير الشرك وبيان وجوده في هذه الأمة وإيضاح قبحه وأنه أعظم ذنب عصي الله به

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، كنا قد تحدثنا فيما سبق عن فضائل توحيد الله تعالىٰ وأهميته وعن ذكر بعض شروطه وما يتعلق به، ويقابل هذه الحسنة العظيمة وهذا الأمر الجليل الذي خلق الله تعالىٰ العباد لأجله وهو التوحيد، يقابله أسوأ الذنوب وأقبح الذنوب ألا وهو

الشرك بالله -جل وعلا-، فالشرك بالله سبحانه وتعالىٰ نقيض التوحيد، الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ هو خلاف توحيد الله -جل وعلا-، وهو أن يُصرف شيء من خصائص الله التي لا تكون إلا له يُصرف لغيره، فكل من صرف شيئًا لغير الله مما لا يكون إلا لله -جل وعلا- فقد وقع في الشرك، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ كما في الصحيحين: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، [1] ندًّا أي مساويًا ومماثلاً، مع أن الله تعالىٰ هو الذي خلقك وأوجدك في هذه الحياة فكيف تجعل له ندًّا.

وكما أن التوحيد يكون في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات؛ كذلك الشرك.

فيكون شركًا في الألوهية؛ بأن يصرف الإنسان شيئًا من أعماله لغير الله، هذا الشرك في الألوهية، أن يدعو غير الله، أن يسجد لغير الله، أن يتقرب لغير الله سبحانه وتعالىٰ بأي شيء من العبادات، أن يخاف غير الله كخوفه من الله أو أشد، أن يحب غير الله كمحبته لله أو أشد، أن يحلف بغير الله، كل هذا من الشرك في ألوهيته سبحانه وتعالىٰ.

ويكون الشرك في ربوبيته؛ بأن يعتقد أن غير الله يخلق أو يرزق، أو يعتقد أن غير الله يُدبِّر الكون ويُسَيِّر الأمور فيه، فهذا من الشرك في ربوبيته الذي لم يقع إلا من عتاة الخلق، ووجد من بعض مشركي العرب ولكنه قليل كما أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين كانوا بالحديبية ونزل مطر فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ**

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦ -١٤١-).

وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، - والنوء هو النجم أي مطرنا بنجم كذا وكذا- فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»، [1] فهذا في زمن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من مشركي العرب وجد من أشرك في الربوبية ونسب إنزال المطر إلىٰ النجوم، ولكن هذا كان قليلاً في أوساطهم، وأكثرُ شركهم هو الشرك في الألوهية.

وهكذا يكون الشرك في أسماء الله تعالىٰ وصفاته؛ بأن يسمي الآلهات بأسماء الله، كما سمىٰ المشركون العزىٰ اشتقاقا من اسم العزيز، واللات اشتقاقا من اسم الله، ومناة اشتقاقا من اسم المنان، وهكذا أن يعتقد أن غير الله يسمىٰ بأسماء الله الخاصة به، أو يكون له المعنىٰ في أسمائه ما لله -جل وعلا- من المعنىٰ في أسمائه.

فكما أن توحيد الله يجب في هذه الأمور؛ كذلك يحرم الشرك في هذه الأمور كلها، وأكثر شرك الناس هو الشرك في العبادة، بأن يصرفوا عباداتهم لغير الله تعالىٰ، سواء كانت عبادة مالية كالنذور والقرابين التي يقربونها لغير الله، أو كانت عبادة قلبية كالخوف والمحبة والرجاء والرغبة والرهبة والتوكل وغيرها، أو كانت من العبادات البدنية كالدعاء والسجود وغير ذلك من العبادات التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، فيحرم الشرك بالله، كما أنه يجب توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

والشرك موجود في هذه الأمة، -لا كما يقول بعض دعاة الشرك الذين يُروِّجون له- أن الشرك لا يوجد في الجزيرة العربية بعد بعثة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل هو

---

(١) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١-١٢٥) عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

موجود وأخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أحاديث كثيرة أن الشرك يوجد في أمته، وفي الجزيرة العربية، ففي صحيح مسلم (٢٩٠٦ -٥١-) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ**»، وذو الخلصة صنم كان يعبده المشركون قبل بعثة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان هذا الصنم لأهل اليمن، فأرسل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جرير بن عبد الله ومن معه من البجليين من أهل ذلك الموضع فحطّموا ذلك الصنم، ولكن الناس سيعيدونه ويعبدونه من دون الله سبحانه وتعالىٰ، (لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب) أي تتحرك (أليات نساء دوس) أي أعجازهن (حول ذي الخلصة) أي يَطُفْنَ به تعبدا من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا في صحيح مسلم (٢٩٠٧ -٥٢-) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ**»، سبحان الله! اللات والعزىٰ التي عبدها المشركون قبل الإسلام سيأتي يوم يعبدها الناس، «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ**»، فقالت عائشة: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [سورة التوبة:٣٣]، أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا، -كنت أظن ألا يوجد هذا- قال: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّىٰ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَىٰ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ**». يرجعون إلىٰ الشرك بالله سبحانه.

وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**»، (١) سيقع الشرك في هذه الأمة، وهو واقع في هذه الأمة كما أخبر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أيضاً يقول كما في الصحيحين عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**، -أي لتتبعن طرق من كان قبلكم- **شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «**فَمَنْ!؟**»، (٢) فأخبر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن هذه الأمة ستتابع من كان قبلها، ومما فعله من كان قبلها الشرك بالله، فسيتابعونهم فيه.

وفي صحيح مسلم(١٤٨ -٢٣٤-) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ**»، جاء في رواية عند أحمد (١٣٨٣٣) وغيره: «**حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فإذاً هذه أخبار من نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الشرك يقع في هذه الأمة، وهو واقع في هذه الأمة، فكم ممن يعبد الأوثان؟ والوثن هو كل ما عبد من دون الله، سواء كان صنماً أو حجراً أو شجراً أو مقبوراً أو ملكاً أو نبيًّا أو جنيًّا كل ما عبد من دون الله فهو وثن، أي بالنسبة لعابده، قال النبي

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩ -٦-).

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»،[1] فمن يعبد القبور هو يعبد الأوثان، كم اليوم من يعبد القبور ممن ينتسب إلىٰ الإسلام؟ كم يوجد في بلاد المسلمين من يدعو المقبورين من دون الله؟ من يذبح لهم؟ من يسألهم حاجته؟ من يسألهم المغفرة للذنوب؟ من يسألهم الرحمة؟ من يستجير بهم؟ من يخاف منهم أشد من خوفه من الله؟ كل هذا من عبادتهم ومن الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

فالشرك واقع في هذه الأمة كما أخبر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأما ما أخرجه الإمام مسلم (٢٨١٢ -٦٥-) عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»، فهذا الحديث مما يستدل به من يُروِّج الشرك، ويدعو إلىٰ عبادة القبور ويقول: إنها ليست بشرك؛ لأن الرسول قال: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب) وهذا من الإضلال للناس.

وإلا فهذا الحديث الصحيح ظاهر المعنىٰ ولا إشكال فيه، ومعناه (أن يعبده المصلون في جزيرة العرب) **أي**: أن يعبدوه كلهم، لا يمكن هذا أن يرتد أهل الجزيرة جميعًا ويصيرون إلىٰ الشرك بالله هذا لن يكون، فهذه الجزيرة هي مهد الإسلام وقد ثبت فيها الإسلام وأُرْسِيَتْ فيها دعائمه فلا يمكن أن تعود كلها بلاد شرك كما كانت

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٨٥)، عن زيد بن أسلم عطاء بن يسار عن النبي ﷺ، وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين وهو مرسل، وله شاهد عند أحمد (٧٣٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد جيد، فالحديث صحيح من الطريقين.

قبل بعثة النبي ﷺ، وأيضاً من معناه الذي قاله أهل العلم (إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون) **أي**: المصلون في ذلك الزمان في زمن الرسول ﷺ وهم الصحابة رضي الله عنهم حين رأى الشيطان توحيدهم لله وبغضهم للشرك وإيمانهم العظيم أيس أن يعبدوه، وأن يرجعوا مشركين، فلما ضعُف دين الناس وضعف تمسُّكُهم بالدين طمع في ذلك وزين لهم الشرك بالله، وهو واقع كما أخبر به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فالشرك بالله لا تظن أنه أمر كان وانقضى، بل إنه يُروَّج له ويدعَى له في كثير من بلاد المسلمين، فكم يجتمع عند قبر الحسين في العراق؟ يجتمع الملايين من الناس يطوفون به ويدعونه ويتقربون إليه بسائر القربات، كم يوجد في كثير من القبور في بلاد المسلمين؟ في مصر واليمن والشام والمغرب وغيرها من البلدان، يُشرَك بالله سبحانه وتعالى ويُدعَى هؤلاء المقبورون من دون الله -جل وعلا- من قِبل الرافضة أو الصوفية أو من يزينون لهم ذلك، فهذا الذنب العظيم، واقع في هذه الأمة وللأسف كما أخبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيجب الحذر منه، والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، هذا الذنب العظيم وهو الشرك بالله -جل وعلا- هو أقبح الذنوب، **فأعظم ذنب عصي الله تعالىٰ به هو الشرك**، يا له من ذنب قبيح، لو تصوَّره المسلم المعظِّمُ لله -جل وعلا- لما سمحت نفسه بأن يقاربه فضلاً أن يفعله، ولذا ربنا -جل وعلا- سماه ظلماً عظيماً كما قال عن لقمان أنه قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]، أظلم شيء هو الشرك بالله -جل وعلا-، ظلم عظيم ووضع للأمور في غير موضعها.

الشرك بالله مخالفة للحكمة التي خلق الله الخلق لأجلها، مخالفة للحكمة التي بعث الله الرسل وأنزل الكتب من أجلها، فالله -جل وعلا- ما خلق خلقه إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، وإلا فهو الغني عنهم ليس بحاجتهم، لم يخلقهم لحاجة ولم يخلقهم ليتعزز بهم ولا ليستكثر بهم ولكنه خلقهم ليبتليهم بتوحيده.

فالذي يشرك بالله خالف الأمر الذي خلقه الله لأجله، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾ [سورة الذاريات:٥٦-٥٧]، وإذا خالف الشيء الذي خلقه الله لأجله فهو أضل مخلوق، الذي يشرك بالله هو أضل من البهائم، هو أضل من الأبقار والأغنام والإبل لأنها عرفت الشيء الذي خلقها الله تعالىٰ لأجله وسارت عليه، لكنَّ المشرك ما عرف الشيء الذي خلقه الله لأجله

ولذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٧٩]، هم أضل من الأنعام، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [سورة البينة:٦]، شر الخليقة شر ما خلق الله -جل وعلا- من أشرك بالله، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأنفال:٢٢]، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الأنفال:٥٥]، هم شر الدواب شر المخلوقات حين كفروا بالله وأشركوا به.

لتعلم أن هذا الذنب لا أقبح منه، فهو ذنب عظيم.

إذا كان الشرك الأصغر أكبر من كل الكبائر، أكبر من الزنىٰ والسرقة وشرب الخمر، لأَن يزني الإنسان أو يسرق أو يشرب الخمر ونحوها من المحرمات أهون من أن يحلف بغير الله، أهون من أن يرائي بعمله، ويريد بعمله غير الله، لأن الشرك اعتداء علىٰ حق الله -جل وعلا-.

الشرك لا يصدر – مع العلم به- إلا من نفس مُسِخَتْ فطرتها، لأن بعض الذنوب يكون لها داعٍ من النفوس يدعو إليها، بعض الذنوب قد تدعو إليها الشهوات قد تدعو إليها الملذات، قد يزني الزاني ويسرق السارق ويشرب الخمر لشهوات تدعوه إلىٰ ذلك، لكن الشرك لا داعي له، لا داعي له إلا فساد المشرك، فساد حاله وقُبْحُ سريرته،

وإلا فكيف يشرك بالله الذي خلقه ورزقه وأوجده ثم أمره أن يعبده؟ فيذهب يصرف العبادة لغيره، أيُّ نفس تطيب بفعل ذلك!؟

نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيَّن قبح الشرك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث الحارث الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل وفيه: قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَجَمَعَ يَحْيَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّىٰ امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ ؛ أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَىٰ عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، -أي فضة- فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ. فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**». [1]

انظر كيف الشرك بالله! هل يرضىٰ إنسان لنفسه بذلك؟ لنفرض أن إنسانًا له عامل -ليس عبدا هو يملكه- بل عامل يعمل بالأجرة، أتىٰ به إلىٰ ماله إلىٰ تجارته، قال: هذا مالي اعمل فيه وما خرج من أرباح وأموال أدِّهَا إليَّ، فجعل يعمل في ماله وما خرج من أرباح وأموال يذهب بها إلىٰ غيره، هل يرضىٰ لنفسه ذلك؟ فكيف يرضىٰ لله الشرك؟ الله خلقك، الله -جل وعلا- رزقك وأوجدك، وأنت عبد لله، قال الله لك: اعمل لي لا

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (١٧١٧٠).

تعمل لغيري، فكيف تعمل لغير الله؟ كيف تصرف عبادة منك لمن سوىٰ الله -جل وعلا-؟

ضرب الله هذا المثل أيضاً في القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، هذا مثال قريب منكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم﴾ أي من عبيدكم وأرقائكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[سورة الروم:٢٨]، هذا مثلٌ من أنفسكم: هل لكم من شركائكم من يأخذ أموالكم ويخالطكم فيها ويقاسمكم إياها تستوون أنتم وهم فيها، وهم عبيد لكم، (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم في سواء) هل يستوي المالك للمال مع عبده المملوك له ويقاسمه فيه، لا شك أن هذا لا يكون، إذاً فكيف تجعل مخلوقاً من مخلوقات الله مشاركاً لله تساويه بالله سبحانه وتعالىٰ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ هو عبد مثلك، ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [سورة الأحقاف:٥]، لو بقيت تدعوه إلىٰ يوم القيامة ما استجاب لك ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الأحقاف:٥-٦]، يتبرأون منهم ﴿إِن

تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [سورة فاطر:١٤]، هذا حال المشركين: إن دعوتَهُ هذا الذي تشرك به مع الله، إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم، لا يمكن أن يسمعك وهو صنم أو وثن أو ميت مقبور ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ لو سمعوا فرضًا ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ لا يستطيع أن يجيبك ولا أن ينفعك، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [سورة فاطر:١٤] يتبرأون منكم يوم القيامة يصيرون لكم أعداء، ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [سورة الزخرف:٦٧].

فيا عباد الله هذا أقبح ذنب عُصِي الله -جل وعلا- به، الشرك بالله ظلم عظيم، الشرك بالله ذنب قبيح لا يصدر من عاقل فرضا أن يصدر من مؤمن يُعظِّم الله -جل وعلا- حق تعظيمه، الشرك بالله ليس هناك دافع يدفع إليه ليس هناك شهوة تدعو إليه، لكن يدعو إليه خُبْثُ السريرة وفساد الحال وانتكاس الفطرة، وإلا فليس هناك داع يدعو إلىٰ الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

فيجب علىٰ المسلم أن يعلم ذلك وأن يتعلمه حتىٰ لا يقع فيه، يجب أن يتعلم الشرك وأن يحذر منه حتىٰ لا يقع فيه، فيعصي الله تعالىٰ بهذا الذنب العظيم الذي سيأتي معنا -إن شاء الله- بيان ضرره وخطره في أدلة القرآن والسنة.

وواجب علىٰ المسلمين أن يحذروا من هذا الأمر، وواجب علىٰ ولاة أمر المسلمين أن يمنعوا أماكن الشرك وأن يمحوها إذا كانت موجودة وأن يبعدوا

المسلمين عنها، كما كان الأمراء والخلفاء الصالحون يفعلون، فكُلُّ سبب قد يدعو إلىٰ الشرك يزيلونه.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأىٰ الناس يجتمعون عند شجرة قال ما هذه الشجرة؟ قالوا: يقولون هذه الشجرة التي بايع النبي ﷺ الناس تحتها، فأمر عمر بقطعها؛ لئلا يعظمها الناس فيقعوا في الشرك بالله -جل وعلا- بتعظيمهم لهذه الشجرة. (١)

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٧٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٧٥٤٥) من طريقين عن ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنَّ نَاسًا يَأْتُونَ الشَّجَرَةَ الَّتِي بُويِعَ تَحْتَهَا، قَالَ: «فَأَمَرَ بِهَا فَقُطِعَتْ». وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع بين نافع وعمر. وقد ذكر هذا كثير من العلماء منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٤٤): (وأمر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقطع الشجرة التي توهموا أنها الشجرة التي بويع الصحابة تحتها بيعة الرضوان. لما رأى الناس ينتابونها ويصلون عندها، كأنها المسجد الحرام، أو مسجد المدينة). وكذلك في نفس المصدر (٢/ ٢٧٤) وفي مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٧١).

وقال ابن القيم في كلام له مفيد حول هذا الموضوع في كتابه إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٩-٢١٠): (والمقصود: أن الناس قد ابتلوا بالأنصاب والأزلام. فالأنصاب للشرك والعبادة، والأزلام للتكهن، وطلب علم ما استأثر الله به. هذه للعلم، وتلك للعمل، ودين الله سبحانه وتعالى مضاد لهذا وهذا، والذى جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إبطالهما، وكسر الأنصاب والأزلام.

فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين: من شجرة، أو عمود أو وثن، أو قبر أو خشبة، أو غير ذلك. والواجب هدم ذلك كله، ومحو أثره كما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليا رضى الله عنه بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض. كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهياج الأسدي. قال: قال لى على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَنْ لا أَدَعَ تِمْثَالاً إِلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إِلا سَوَّيْتُهُ".

وعمى الصحابة بأمر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبر دانيال، وأخفوه عن الناس. ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أصحابه أرسل فقطعها. رواه ابن وصاح في كتابه فقال: سمعت=

وهذا من أهم الواجبات ومن أعظم الواجبات علىٰ ولي أمر المسلمين أن يحارب مظاهر الشرك وأن يسعىٰ في إزالتها وألَّا يُبْقِي لها أثراً حتىٰ لا يُفتَن بها الجهلة من المسلمين.

=عيسى بن يونس يقول: "أمر عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة".

قال عيسى بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع: "أن الناس كانوا يأتون الشجرة، فقطعها عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ".

فإذا كان هذا فعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالشجرة التي ذكرها الله تعالى فى القرآن، وبايع تحتها الصحابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان، التي قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بها؟.

وأبلغ من ذلك: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هدم مسجد الضرار.

ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً منه، كالمساجد المبنية على القبور. فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها، حتى تسوى بالأرض، وهى أولى بالهدم من مسجد الضرار. وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها، لأنها أسست على معصية الرسول، لأنه قد نهى عن البناء على القبور كما تقدم. فبناء أسس على معصيته ومخالفته بناء غير محترم. وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً.

وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بهدم القبور المشرفة كما تقدم.

فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى، لأنه لعن متخذي المساجد عليها ونهى عن البناء عليها فيجب المبادرة والمساعدة إلى هدم ما لعن رسول الله تعالى عليه وآله وسلم فاعله ونهى عنه. والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما. فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً.

وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، وطفيه. فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. ولا يصح هذا الوقف ولا يحل إثباته وتنفيذه). انتهى.

نسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

٣٠/ صفر/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع